قال الله تبارك وتعالى

﴿33﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿34﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿35﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿36﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿37﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لا يزال حديثنا متواصلا في تفسير هذه السورة، وهي سورة البقرة، وانتهينا يوم أمس عند الكلام على ما ذكره الله جل وعلا من منّته على آدم عليه الصلاة والسلام، وما ذكره في هذه الآيات، مما يدل على فضله وكرامته عليه السلام، حيث أن الله جل وعلا علمه كلّ الأسماء، وعرض ذلك على الملائكة، فلم تعرف أسماءها، ووكلت العلم إلى الله سبحانه وتعالى، انتهى بنا الكلام عند هذا، وعند قوله تعالى {**وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**}البقرة٣٣، ثم يواصل جلّ وعلا في بيان ما امتنّ به على أبي البشرية آدم عليه الصلاة والسلام، وتكريمه له وتفضيله ومنّته عليه.

قال جل وعلا {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**} (**إذْ**) هذه ظرفية لما مضى من الزمان، أي اذكروا هذا الوقت أو الحين، الذي أمر فيه جلّ وعلا الملائكة أن تسجد لآدم عليه الصلاة والسلام، {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**} الأمر موجه من الله جل وعلا لجميع الملائكة.

وهذا السجود هو سجود احترام وإكرام وتقدير، ليس سجود عبادة، وإنما هو بهذا المعنى، وبعضهم قال: إن السجود كان لله جل وعلا، وكان آدم في جهة سجود الملائكة، فالسجود إنما من الملائكة لله سبحانه، وكان آدم أمامه، فيظهر أنهم سجدوا له، وهذا لا يحتمله اللفظ، وظاهر الآية واضح في أن الأمر من الله جل وعلا لملائكته أن تسجد لآدم عليه الصلاة والسلام، وهذا سجود احترام، وسجود إكرام، كما جاء أيضا في آخر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، وفي آخر سورة يوسف، {**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**}يوسف١٠٠، أيضا سجود إكرام واحترام، لا سجود عبادة وطاعة.

وقد كان نحو هذا في الزمن الماضي وفي الشرائع الماضية السابقة، أما في شريعتنا لا يجوز مثل هذا النوع من السجود، سواء كان سجودا تاما كاملا أو كان فيه نوعا من الانحناء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحدًا أنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ ؛ لأَمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها**)[١]، يعني لو كان ثمة أحد من المخلوقات يستحق أن يسجد له، فهو الزوج، والذي ينبغي أن يسجد هي امرأته زوجته، ولكن هذا غير مشروع، في شريعتنا لا يجوز، فالسجود إنما يكون لله سبحانه وتعالى، سواء السجود الكامل التام بوضع الجبهة على الأرض، أو كان نوعا وشيئا من الانحناء على هيئة الركوع أو دونه أو أكثر منه.

فهذا تكريم لآدم {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**} يريد جل وعلا أن يبين فضل هذا المخلوق الذي خلقه جلّ وعلا، وفضل آدم يظهر من جهات كثيرة، فالله خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وأدخله الجنة، وعلمه الأسماء كلها، وهداه إلى تحية المسلمين (**السلام عليكم**)، وهداه أيضا إلى قول (**الحمد لله**) لمن يعطس.. إلى غير ذلك من الفضائل التي أكرمه بها جل وعلا.

{**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**} آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام، أصله أأدم بإسكان الهمزة الثانية، وأصل الأدمة في اللغة هي السّمرة، {**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**} أي جميع الملائكة ائتمروا بأمر الله جل وعلا، فخروا سجدا، وسجدوا لآدم عليه الصلاة والسلام، ولم يناقشوا، ولم يعارضوا، ولم يُسَائلوا، ولم يمتنعوا، وإنما لبّوا الأمر، وهذا جاء في وصفهم {**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**}التحريم٠٦، وهكذا يجب أن يكون عليه المسلم، إذا جاءه الأمر الشرعي في كتاب الله جل وعلا، أو في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتأكد المكلَّف أنه مخاطب بهذا الأمر، وتأكد حقيقة هذا الأمر يعني معناه، فالواجب أن يباشر مباشرة، وأن يبادر في الطاعة.

[١] [السلسلة الصحيحة ٣٣٦٦ : إسناده صحيح رجاله ثقات]

لكن لا بد أن يتفهم الأمر، لأن بعض الناس يستجيب للأوامر، يظن موجهة له، وهي ليست موجهة له بل لغيره، أو قد تكون موجهة له، لكن لا على تلك الطريقة، فيخطأ في التطبيق، فلابد من تفهم ومعرفة الحكم أنه مخاطب به، وأنه على تلك الهيئة، فإذا تيقن وعلم ذلك، وعرفه فإنه يبادر، لا يتعلل، لا يتأخر، لا يعتذر، ولا يستشكل، ولا يضرب لهذا الأمر الرباني -الذي جاء في كتاب الله تبارك وتعالى أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم- الأمثال، أو الأقيسة، فيقيس بعقله الأشياء فيردّ الشرع من بعد ذلك.

ولهذا قال جل وعلا {**فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**} الملائكة كلها سجدت، في الآية الأخرى {**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ**}الحجر٣١/٣٠، وهاهنا يشير أهل العلم إلى الخلاف، هل الملائكة التي سجدت هي الملائكة التي كانت في السماء التي كان فيها آدم، أو كل الملائكة في السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة؟ هذا محل كلام عند أهل العلم، الآية ظاهرة في العموم، وأن الملائكة كلها سجدت لآدم عليه الصلاة والسلام، لعله أيضا يقوي هذا أن الله جل وعلا إذا قضى أمرا، فإن جبريل يعلن هذا الأمر في ملائكة السماء، فالآية تدل على أن جميع الملائكة سجدت لآدم عليه الصلاة والسلام، وهذا يدل على فضل آدم على الملائكة، بمثل هذا السجود، وبما علمه جل وعلا من الأسماء.

وهاهنا مبحث أيضا عند أهل العلم، يُذكر في كتب الاعتقاد، أيهما أفضل الملائكة أو البشر؟ على كلام يطول ذكره.

{**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ**} هذا الاستثناء جاء في هذه السورة، وجاء في سورة الأعراف، وجاء في سورة ص، بما ظاهره يدل على أن إبليس أبى أن يسجد، وامتنع، وليس فيها ذكر أن إبليس من الملائكة أو لا، {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ**}، فيُفهم أن إبليس من الملائكة، هذا الذي يفهم من ظاهر الآية هاهنا، وسورة الأعراف، وسورة ص أيضا، لكن في سورة الكهف واضح {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**}الكهف٥٠، هذه آية عظيمة {**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**} نفس السياق {**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**}.

ولهذا المثاني وتثنية القصص، والجمل، والمواعظ في كتاب الله جل وعلا، تثنيتها ليس من باب التكرار، بل فيه فوائد ومنافع كثيرة، فهنا تكلم على إباء إبليس، وبين أنه كان من الجن {**فَفَسَقَ**} خرج {**عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**} خرج عن أمر ربه، الفسق الخروج عن أمر الله، إذن ما يأمر به إبليس إنما يأمر

بالخروج على أمر الله، هذا هو فعل إبليس، فالعاقل يتخذه وليا أو يتخذه عدوا؟! قال جل وعلا منبها {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي} ولي ما يأمرك به تفعله، هكذا صاحب المعاصي، المصاحب لها الذي يفعلها صباح مساء، فيتخذ إبليس وليا، في حين أنه عدو، {وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} أي بئس هذا البدل، أن تتخذ العدو وليا، هذا من أعظم الظلم، بئس للظالمين بدلا.

فإبليس من الجن وليس من الملائكة، وبعض أهل العلم يقول: كان مع الملائكة، فلما أبى وعصى، عاد وأخرجه جلّ وعلا من مرتبة وصنف الملائكة إلى صنف الجن والشياطين، وهذا يبعد ولا يثبت فيه شيء، والآية واضحة، الكلام هنا في استثناء إبليس من السجود، أما أصل إبليس فإنه من الجن والآية صريحة، {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ} فإذن {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ} إبليس ما هو من الملائكة، لكن كان في ضمنهم، كان له هذا الشرف، وهذا الكرم، وهذا الفضل، إذ جعله الله تبارك وتعالى في أوساط الملائكة، مع أن أصله من الجن.

وهذا يستفاد منه أنه إذا خوطب الناس بلفظ أغلبي فإنه يصح، ولو لم يكن في ضمنهم ومن هو مِنهم، وهذا وارد في كتاب الله جل وعلا، كثير من الآيات تجد فيها استعمال ضمير الجمع المذكر، ولا يعني أنه لا تدخل النساء في ذلك، وإنما يستعمل ضمير جمع المذكر تغليبا للرجال على النساء.

فكان إبليس في هذه المرتبة مكرما معززا محترما له مكانته، ولكن في نفسه هذا الكبر، {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} بمعنى امتنع، وهذا كفر الإباء، هذا نوع من أنواع الكفر، وهو كفر الإباء، أن يمتنع من التجرد والاتباع لهذه الشريعة، أن يمتنع عن القيام بما شرعه الله تبارك وتعالى، كما قال جل وعلا {فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى}، {وَلَكِنْ كَذَّبَ} تقابل {صَدَّقَ}، {وَتَوَلَّى} تقابل {صَلَّى}، تولّى أعرض وترك وأبى أن يستجيب لشرع الله.

{إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ} هذا كفر الاستكبار، كما قال قائل من الكفار لما قيل له أسلم قال: لا أسلم فإني أكره أن تعلو أستي رأسي، أي إذا سجد كان آخره أعلى من رأسه، ورأسه أشرف، قال: فإني أستنكف من هذا، أي يستكبر على دين الله جل وعلا، هذا نوع من أنواع الكفر وهو كفر الاستكبار، ومن الناس من يقع في هذا الكفر، أن يتكبر عن شرع الله سبحانه وتعالى، ويرى أن من نفسه أنه لا يصلح أن يفعل كذا وكذا، وأن يخاطب مثل هذا الحكم، شرع الله تبارك وتعالى موجه لجميع الناس.

{**وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**} بإبائه صار كافرا، وباستكباره صار كافرا، والكفر هو الستر، والكافر هو من ستر ما استحقه الله سبحانه وتعالى، فيشمل ذلك الجحود، كفر الجحود، أن يجحد ويشمل كفر الإباء، وكفر الاستكبار، وكفر العناد، أن يعاند ويناقش في حقه، وكفر الإعراض، أن لا يلتفت إلى هذا الدين أصلا كما قال بعضهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا أمر أن يسلم قال: إن كان على حق فهو له، وإن كان جاهلا لم نتبعه، فلم يلتفت إلى هذا الدين، أعرض عنه وتركه، فهذه من أنواع الكفر.

{**وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**} انتقل إلى الكلام على مزيد المنّة، والإكرام، والإفضال، والإحسان لآدم عليه الصلاة والسلام، الآيات سيقت لهذا، في المواضع الأخرى بين جل وعلا لمَ عاند ولمَ أبى إبليس {**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**}الأعراف١٢، {**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**}ص٧٥، وبين ردّ إبليس وحجته وهي حجة باطلة.

أما المقام هنا فهو مقام ذكر فضل آدم، ولهذا ليس فيه الإشارة إلى ذلك، إبليس حسد آدم عليه الصلاة والسلام، وقاس قياسا باطلا، {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}ص٧٦، وهذا يدل على أن إبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم من حديث عائشة (**خُلِقَت الملائكةُ من نورٍ. وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ. وخُلِقَ آدمُ مما وُصِف لكم**)[1].

فإبليس خلقه الله من نار، والملائكة خلقها من النور، فهذا يدل على أن إبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن والشياطين، {**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**} لم؟ قال {**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**} فهو يقول أنه عنصر ناري، والبشر -آدم- عنصره ترابي طيني، والنار أفضل وخير من الطين، وهذا قياس باطل، لأن النار أصل كلّ شر، تُحرق، تفسد، تتطاير، تأتي على الشيء فلا تبقي منه شيئا، وضررها واضح، أما الطين فإنه متماسك، ويستعمل للشيء الثابت اللازم، ويودع أشياء فيعطيها أرزاقا، ففرق بين الطين والتراب وبين النار، والتراب أفضل، فإبليس قاس هذا القياس الباطل، وهذا القياس -يقول العلماء- هو أول قياس فاسد، فليس كل قياس له محل من النظر، إلا ما توفر فيه الشروط المعلومة عند العلماء.

{**وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**} كان الله جل وعلا قد خلق حواء، قيل حواء مأخوذة من لفظ الحي، لأنها خُلقت من حي، آدم عليه الصلاة والسلام منه خلقت حواء، كما جاء في الحديث

[1] [صحيح مسلم ٢٩٩٦]

الصحيح، (**فإنَّ المرأةَ خُلقتْ من ضِلعٍ ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاه**)[1]، أخذ الله سبحانه وتعالى ضلعا من آدم عليه الصلاة والسلام، ضلعا أعوجا فخلق منه حواء، والحديث في الصحيح.

والله عز وجل قادر على كل شيء، {**إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}البقرة٢٠، خلق آدم من تراب، أصله تراب، فبل في الماء فصار كالطين، ثم تماسك ويبس وصار صلصالا، فأصابه شيء من الحر والشدة فصار كالحمأ المسنون، وفيه تجاويف إذا سرت فيه الريح سُمع صوت، ثم بثّ الله جل وعلا فيه روحا، فصارت تسري فيه فما مرت على شيء إلا صار لحما وعظاما، فخُلق على هذه الخلقة التي هي في أحسن تقويم {**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**}التين٤، {**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**}الانفطار٧/٨، {**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**}البلد٨/١٠، خلقة الله تبارك وتعالى.

ومن آدم خلق حواء كما قال عليه الصلاة والسلام، والمرأة أصلها مخلوقة من ضلع أعوج قال صلى الله عليه وسلم (**وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاهُ، إن ذَهبتَ تقيمُهُ كسرتَهُ، وإن تَركتَهُ لم يزل أعوَج**)[2]، فالمرأة يُتعامل معها بشيء من الحذر، وشيء من اللطف، وشيء من التوازن، فالشدة عليها قد تكسرها، وترك الحبل لها على الغارب قد يجعلها تميل، وتنحرف عن الحق، ولهذا جاء في شريعة الإسلام ما يصون المرأة، عن أن تنحرف، فنجد على المرأة المنع في اختلاطها بالرجال، وفي خروجها دون انضباط وقيود للشارع، وفي مخالطتها الرجال في الأعمال، وفي لباسها، جُعل لها ما يسترها، حتى تنقص الأطماع أطماع الرجال فيها، لأن أصل خلقة الرجل الميل إلى المرأة، وأيضا أصل خلقة المرأة الميل إلى الرجل.

وبعض الناس يريد أن يشكك في هذه الحقيقة، هذا في الحقيقة في النظر ناقص العقل، يعني يريد أن يقول: أن اجتماع الرجل مع المرأة أمر عادي، وهذا لا يقوله إلا من لم يكن عاديا، كمثل الذي يريد أن يقنعنا أن هذا يترك ولا يسقط[3]، هذا مِن هذا!، فالله جل وعلا خلق هذا الجنس وهذا الجنس كلٌّ بطبعه يميل إلى الآخر، ولهذا وُضعت هذه الحدود الشرعية من الله عز وجل، لأنه هو الذي خلق {**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**}الملك١٤، هو الذي يعلم سبحانه وتعالى، فهو اللطيف في أحكامه الخبير بما شرع سبحانه وتعالى.

---

[1] [رواه الشيخان]
[2] [صحيح مسلم ١٤٦٨]
[3] [كأن شيخنا رفع القلم ثم تركه]

فكانت حواء قد خُلقت من آدم عليه الصلاة والسلام، وذُكر في ذلك بعض الآثار، وأنه أتته سَنَة أي نوم وغفلة، فاستيقظ فإذا بحواء أمامه، فألهم هذا الاسم، فكانت سكنا له، وكان سكنا لها.

{**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ**} أي زوجتك المرأة يطلق عليها زوج، والرجل يطلق عليه زوج، والأفصح أن يقال للمرأة زوج، ويصح أن يقال فيها زوجة، لكن الأفصح لفظ الزوج، فالزوج كلمة تطلق على الرجل كما تطلق على الأنثى، وقال هنا عز وجل {**اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**} هذه جنة أدخله الله إياها، هل هي في السماء الدنيا أو السماء السابعة، أو جنة في الأرض؟ هذا خلاف بين أهل العلم، ويكفينا ظاهر الآية، وأنها جنة، ولا شك أن من صفة الجنة ما فيها من النعيم العظيم وما فيها من حسن المنظر، وما فيها من الأشجار الباسقة، والغصون الطويلة المتدلية، وما سمّيت جنة إلا لأن فيها ما يستر من بداخلها، لأن مادة الجيم والنون في لغة العرب تدل على الستر، فالجنة فيها معنى الستر فأدخله الله جنته هو وزوجه حواء.

{**وَكُلَا مِنْهَا**} أي من هذه الجنة {**رَغَدًا**} تنعّما وتوسّعا في الأكل، {**حَيْثُ شِئْتُمَا**} مكانا وزمانا ومن كل شيء، لكن {**وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**} هي شجرة منعهما الله أن يأكلا منها، ذهب بعض أهل العلم في قوله هي شجرة التين، شجرة الزيتون، شجرة النخل، شجرة يأكل منها يكون عاصيا ... هذا لم يأت شيء فيه يصح، وإنما هي شجرة عيّنت، فابتلاه الله بذلك، كل حيث شئت وتنعّم بما شئت، لكن هذه الشجرة المعينة، لا تأكل منها، ولم يرد شيء في تعيينها.

{**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا**} أزلهما من الزلل، وفي قراءة سبعية {**فَأَزَالَهُما**}، من الإزالة أي دفعهما وأخرجهما من هذه الجنة، بالحيلة لاشك، {**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**} غاية ما ذُكر في تفصيل الإخراج، أن الشيطان وسوس لآدم، {**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**}طه١٢٠، يا آدم إذا أردت أدلك على شجرة، شجرة الخلد، من أكل منها يخلد، ولا يموت، وهي شجرة الملك، آدم عليه الصلاة والسلام، لما خلقه الله جل وعلا، وكرّمه بهذه الأنواع من المكارم، وهذه الأنواع من الفضل والإحسان، ثم أدخله الجنة، فإن له الرغبة في البقاء في هذا النعيم.

وما منا إلا ويريد البقاء ودوام النعيم، ولكن كما قيل في القاعدة الحياتية والاجتماعية -وقل ماشئت- **(دوام الحال من المحال)**، فاحذر من القدر، لأنه لا أحد يعلم ما سيأتي مما قضاه وقدره تعالى، فدوام الحال من المحال، دوام رمضان محال شهر واحد، فاغتنم!، ومن كانت له فرصة ليغتنم فليبدأ، والله ما تدري، رمضان القادم تكون حيا أو في عالم آخر، وإن كنت حيا فلا تدري أتكون

متفرغا أو غير متفرغ، وإن كنت حيا فلا تدري أتكون على استقامة أو على غير استقامة، إلى غير ذلك من الأحوال التي تعتري البشر، فهذه طبيعة في الإنسان.

فقال الشيطان {**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى**} وسوس لهم بهذه الطريقة، فزين له الشيطان، والباطل دائما يكثر أتباعه، ويكون مزينا، بخلاف الحق، فأحيانا يظهر للإنسان أنه ثقيل وفيه شدة وصعوبة، لكن الباطل يأتي مزينا، وهذه طريقة من طرق الشيطان، لإغواء بني الإنسان، أن يزيّن له، التزيين، ولهذا قال كما في الآية {**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**}الحجر٣٩/٤٠.

فوسوس له فأكل منها آدم عليه الصلاة والسلام، كيف وسوس لهم؟ الشيطان لا يدخل الجنة، بعضهم يذكر قصصا في هذا وهي قصص في الحقيقة لا يثبت منها شيء، وإنما كان هذا بطريقة أوصل بها الخطاب الشيطاني إلى آدم، فوسوس له بهذه الوسوسة فأكل من الشجرة

{**فَأَزَلَّهُمَا**} أي أوقعهما في الزلة، الخطأ، والمعصية، أو {**فأزالهما**} أي دفعهما، وأبعدهما، ونحّاهما {**عَنْهَا**} أي عن هذه الجنة، وعن هذا النعيم، {**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**} أخرج الجميع، آدم وحواء، أخرجهما من الجنة والنعيم الذي كانا فيه.

من الذي أكل الأول؟ آدم أو حواء؟ ومن الذي أمر الآخر بالأكل، من وسوس للثاني؟ على كل الأحوال فإن من وافق تبعه في الحكم، فإذا رأيت المنكر لا تقل: ليس من شأني، إن كنت في المجلس فجلوسك رضا بالمنكر، وموافقة عليه، فيعمّك الحكم، ولهذا فإما أن تنكر وإما أن تقوم، بعض الناس يدخل المقهى، غناء ورقص وصور خليعة، وصور فاسدة، أو يدخل محلا يجلس فيه وفيه هذه المنكرات، يا أخي إما أن تغيّر وإما أن تنصرف، أو تأخذ حاجتك وتستفيد منها في مكان آخر، أما البقاء فهو رضا بهذا المنكر، إلا العاجز، فهذا أمر آخر والضرورات لها أحكامها، ومع ذلك يجب أن ينكر بقلبه.

{**فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ**} خرج الاثنان، بعضهم يقول إن حواء قبل آدم، وبعضهم يقول غير هذا، وعلى كلٍّ فالحكم يشمل الجميع.

{**وَقُلْنَا اهْبِطُوا**} هذا أمر بالهبوط، {بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} أي هذه الذرية التي ستخلفكم، مما سيكون هناك عداوة للإنسان بعضه بعضا، هذا سبق في علم الله وفي قضائه، وقدره سبحانه وتعالى،

{**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**} ضمن الله جل وعلا لنا، هذا الدوام، وشيء من التمتع أحيانا، هذا كله مقدّر، وقضاه الله تبارك وتعالى.

{**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ**} أي آدم وحواء، وذريتهما أيضا، {**بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**} أي الجنس الذي سيأتي من البشرية من بني آدم عليه السلام، من أبنائه وذريته {**مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**} أي استقرار، ودوام، وحياة معينة، ومقدّرة، ومقيّدة، وأيضا متاع، تمتع بأمور الدنيا، فالرزق مكتوب ومحدد لكل واحد، {**إِلَى حِينٍ**} أي إلى زمن محدد.

{**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**} في قراءة {**فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٌ**} فالكلمات جاءت لآدم، هذه الكلمات جاءت من آدم عليه الصلاة والسلام، وهي كلمات توبة وإنابة، ورجوع، {**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**}الأعراف٢٣، هذا كما قال بعض العلماء، وجاء في آية أخرى { **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**}طه١٢١/١٢٢، فهذه الكلمات كلمات توبة، وإنابة، ورجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

{**فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**} فالله جل وعلا تواب، على وزان فعّال يعني صيغة مبالغة، مبالغة في التوبة، فهو الذي يوفقنا للتوبة، ثم هو الذي يقبل هذه التوبة، وإن تكررت المعصية وتكررت معها التوبة فإنه يقبلها سبحانه وتعالى، الرحيم بعباده، الذي وسعت رحمته جميع العباد، كما قال جل وعلا في الآية الأخرى {**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**}التوبة١٠٤، فهذا نظير هذه الآية.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿38﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿39﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿40﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿41﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿42﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿43﴾

{**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا**} أي من هذه الجنة، جميعا أي جميعكم، {**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**} قال بعض أهل العلم: يشمل آدم وحواء والشيطان، فأنزل إلى هذه الأرض، {**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} فأنزلهم جل وعلا إلى هذه الأرض، وكانت هذه هي بداية الحياة على الأرض، قال جل وعلا {**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى**} سيأتيكم الهدى، وتأتيكم الرسل، وتأتيكم الكتب، ويأتيكم النذير ويأتيكم البشير، ويأتيكم البيان، ويأتيكم الحق والتبيان، فالذي يتبع فهذا ناجٍ في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبع فإنه في ضلال مبين.

{**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} لا خوف عليهم فيما يستقبل من الزمن، من اتبع هدى الله سبحان وتعالى فلا يخاف على نفسه فيما يستقبله من الزمان، في حياته وفي قبره، ويوم القيامة، ولا يحزن على ما فاته في الدنيا، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (**الدُّنيا سِجنُ المؤمنِ وجنةُ الكافرِ**)[١]، والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر، الدنيا سجن للمؤمن، قال بعض العلماء: أي ما يتنعم فيها، وما يحصل له من النعيم، بالمقارنة بنعيم الجنة فكأن الدنيا سجن بالنسبة له.

وذكر بعض العلماء معنى آخر أيضا، كون الدنيا سجن بالنسبة للمؤمن، أي هو مقيد فيها بالأوامر والنواهي، افعل، لا فعل، واقرأ القرآن الكريم، {**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**}الإسراء٣٢، {**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ**

[١] [صحيح مسلم ٢٩٥٦]

قَوْمٍ}الحجرات١١، {**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**}الحجرات١٢، {**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**}الإسراء٣٦، {**وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ**}هود٨٤، {**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**}المطففين١، نواهٍ، لا تفعل، المخاطب بها مقيد، ولهذا يجد المؤمن في نفسه في حياة الدنيا، يريد أن يفعل ولكن لا يفعل، يريد أن يعمل ما يستطيع، يرتاح يأتيه الأمر، لا بد أن يفعل، ويشتهي شيئا فيأتي النهي لا تفعل، فكأنه مقيد، إذن في نظره يفوته كثير من المتعة، والخيرات، إذن هذا لا حزن عليه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم **(من تركَ شيئًا للهِ ، عوَّضهُ اللهُ خيرًا منه)**[1]، اترك الشيء لله تعالى فيعوضك ما هو خير، وأفضل بكثير وكثير.

{**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**} الصاحب مع صاحبه كيف يكون حاله؟ في الغالب يماشيه، هنا أيضا، من كفر وكذب بآيات الله فهو صاحب النار، ما يكاد ينفك عنها دائما معها يصلاها تتوقد به، وهو مصاحب لها، وهو وقودها وسعيرها، {**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} خلودا أبديا، لا موت كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث **(يا أهل النار خلود فلا موت)** ويقال لأهل الجنة **(يا أهل الجنة خلود فلا موت)** كما جاء في الحديث الصحيح، وقال جل وعلا {**لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى**}طه٧٤، لا يموت موت الفناء والانتفاء والعدم، ولا يحيى الحياة التي هي حقيقة الحياة التي يحياها بحيث يتمتع، فأمره في بأس شديد، نسأل الله جل وعلا العفو والعافية.

وهذا نظير قوله تبارك وتعالى {**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**}طه١٢٣، الضلال والشقاء، هذان أمران من أعظم الأمور التي يسعى كل واحد لاجتنابها، يجتنب الضلال، يجتنب أن يكون في طريق خطأ، يعني ما من واحد تسأله وهو يسير في طريق معين، فيقول أنا في الضلال، وأبقى وأريد أن أبقى في الضلال، هذا إن قاله يكون في حالة زوال العقل، لكن ما من واحد قد رسم لنفسه طريقا يسير فيه في هذه الدنيا، إلا وهو يرى أن هذا هو النجاة، وهو الهدى وهو الخير.

والشقاء التعب والنكد، والنصب، هذا ما من أحد إلا ويريد أن يتفاداه، {**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ**} الهدى الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو هدى الله سبحانه وتعالى، أن يستهدي ويستنير، ويستضيء بالكتاب والسنة، يستضيء بضياء القرآن والسنة، ويستنير بهما وينظر الهدي والهدى فيهما، {**فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي**} الذي يعرض فيولي ذكر الله بظهره {**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**}طه١٢٣/١٢٤، حياة الضنك، حياة قد يظهر لك في الظاهر

[1] [صححه الإمام الألباني في "حجاب المرأة"٤٩ قال: إسناده صحيح]

أنها حياة متعة، وحياة ملذة، وحياة نعيم، وحياة صفاء وهناء وأمن وطمأنينة، ولكن في الحقيقة والله لا يوجد ذرة من هذا.

واحد من الكفار -ألماني- أسلم وكان في نعيم عظيم، هو يحدث عن نفسه، فيقول: إن الناظر للكفار يقتسمون ملذات الدنيا ومتاعها، فكأنه في مكان ولذة وهناء، يقول: لكن في الحقيقة هذا ما كنا نجده، بالرغم أن عندهم كل ما تشتهيه وكل ما تميل إليه النفس، من مال ومسكن وجاه وفعل الأشياء التي يريد أن يتمتع بها، وتمتع بالنساء وغير ذلك، قال: ولكن ما كنت أجد لذة ومتعة وراحة، لعلها تكون طارئة، أو لزمن معين يسير، قال: وما عرفت إلا بعد أن دخلت الإسلام، قال: لما دخلت الإسلام وجدت هذه الراحة وهذه الحياة.

{قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى}طه١٢٥/١٢٦، هذا كله في هدى الله سبحانه وتعالى، من اتبعه كان مجنّبا للشقاء والضلال، ومن أعرض عنه كانت حياته حياة ضنك، ويحشر أعمى لا يبصر شيئا يوم القيامة، فهو نظير قوله تعالى **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**.

ثم قال جل وعلا **{يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}** المناسبة واضحة **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا}** من كفر وكذب بهذه الآيات التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم نبينا فمآله النار، وهو فيها خالد، فيا بني إسرائيل، يا من أنعمت عليكم، جعلت منكم الأنبياء، والملوك، وكنتم أفضل أمة في زمنكم، والأنبياء كلهم منكم، وأعطيتكم ... فنعم الله عليهم -أي بني إسرائيل- عظيمة، فلا يحق ولا يحسن ولا ينبغي منهم أن يكون هذا الكفر وهذا العناد للنبي صلى الله عليه وسلم، فيذكر الله جل وعلا هؤلاء، وبنوا إسرائيل من الكفار لأنهم ما آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، إنما من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم صار من أهل الإيمان.

{يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} قال جل وعلا في الآية الأخرى في سورة المائدة {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}المائدة٢٠، هذه نعمة أنعم الله بها على بني إسرائيل، فاذكروا هذه النعمة، ونحن أيضا أنعم الله علينا بنعم عظيمة فيجب علينا أن نذكرها، وأن نشكرها قال جل وعلا **{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}**التكاثر٨، قال صلى الله عليه وسلم لعمر **(لتسألنّ عن هذا)** الماء

البارد، قال **(يا رسولَ اللهِ! إنا لمسؤولونَ عن هذا)** ماء بارد وحبات تمر، قال **(نعم)**[١] {**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**}التكاثر٨.

منا من هو معافى في جسمه وبدنه، في زوجه، في أولاده وفي حياته، وفي أهله، وفي عائلته، وفي ماله، يحي حياة هنية، آمنا في سربه، وفي ذويه، وفي أقاربه، مستقرا في عمله، مكتفيا في قوته، كلُّ شيء يُسِّر له، ولعله قد اجتمعت له الأربع خصال، التي ينبغي أن تكون للمؤمن، المركب الهني، والزوجة الصالحة، والبيت الواسع، والجار الصالح، فأين شكر هذه النعم؟ فقوله {**اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ**} هذا خطاب لبني إسرائيل، وأيضا لغيرهم، فلا بد من تذكر نعمة الله جل وعلا علينا.

{**الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي**} وعهد الله لبني إسرائيل ولغيرهم، اتِّباع الأنبياء والرسل، قال بعض العلماء: ومن العهد الذي أخذ على بني إسرائيل في التوراة وكذلك في الإنجيل، هو الإيمان والاتباع للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا مما جاء في التوراة والإنجيل، التبشير بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة، وقد بينها العلماء في كتب كبيرة، وبينها كثير ممن كان على دين النصارى واليهود وأسلم ورجع إلى دين الإسلام، مبيّنة في مواضع كثيرة، فجاء ذكر نبينا عليه الصلاة والسلام باسم أحمد، أنه سيأتي نبي اسمه أحمد، يدخلون مكة ، هذا جاء التبشير به في كتبهم.

فالعهد الذي أخذه الله جل وعلا على هؤلاء هي عهود كثيرة، ومنها هذا العهد كما قال بعض العلماء: أن يتبعوا -ويؤمنوا- بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإن وفّوا بعهد الله سبحانه وتعالى، فإن الله تبارك وتعالى يوفي بعهده لهم، مما عاهدهم الله تعالى وتبارك به من التمكين في الأرض، ورفع ضررهم، وهدايتهم، وأن يكونوا من أهل الجنة والفلاح في الدنيا والآخرة، إلا أن بني إسرائيل هم قوم بهت وأهل زور وباطل وعناد، وأهل كفر عياذا بالله.

{**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**} فإن أبيتم فارهبوا الله تبارك وتعالى، فهذا توعد من الله عز وجل، والرهب خوف وزيادة، الرهب من الشيء حتى أنه يدخل في نفسه وجسمه أمرا بليغا يفرّ من المخوف منه.

{**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**} آمنوا بهذا الذي أنزلت، أي بما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه مصدق لما لمعهم، جاء يصدق كل ما عندهم من الأصول ومن الشرائع، إلا ما نُسخ، {**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**} لا

---

[١] [صحيح الترغيب ٣٢٢١: حسن]

تكونوا أول من كفر بهذا، لا تكونوا بمجرد وصوله إليكم ممن يباشر إلى الكفر به، وإلا فإن الله جل وعلا قد أنزل القرآن على نبينا صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، وبها العرب وكانوا مشركين، واليهود كانوا بالمدينة، فالمراد بـ{**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**} ممن يباشر إذا جاءه أن يكفر به وينكر ويعاند.

{**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**} لا تشتروا بآياتي أي بكتبه سبحانه وتعالى، التي أنزلها عليهم، لا يشتروا بها ثمنا قليلا، فيعطون عوضها، ويكتمون الحق مقابل أن يأخذوا عليه أثمانا، ومهما كانت هذه الأثمان عالية إلا أنها قليلة بالمقارنة مع الفعل الشنيع، والفعل الخبيث الذي يفعلونه.

{**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**} فكانوا يكتمون أحكام الله عز وجل، والشرع الذي أنزله الله تعالى في كتابه، كانوا يكتمون هذا، فحذرهم الله جل وعلا وقال {**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**} أي اتقوا الله سبحانه وتعالى بفعل أمره واجتناب نهيه.

{**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**} وليكن حالكم كحال المسلمين في اجتماعهم بأن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وأن يكون ركوعكم مع ركوعهم، أي مع ركوع الجميع، استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن صلاة الجماعة واجبة، لأن الله أمر المسلمين جميعا بأن يكون ركوعهم مع ركوع الراكعين، وإنما يتحقق هذا في صلاة الجماعة.

ولعلنا نكتفي بهذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.